ردمد : 2961-4074
ISSN: 2961-4074
رقم الإيداع : 1446/3664

سلسلة تقارير أسبار

رقم (10)

أكتوبر 2015

حادثة تدافع الحجاج بمنى

إعداد/ لجنة التقارير

مركز أسبار
ASBAR CENTER
31 عامًا Years
منذ 1994 Since

ملتقى أسبار
Asbar Council
(نادي تفكير)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقرير يصدر عن ملتقى أسبار

- رئيس الملتقى:

د. فهد العرابي الحارثي

- رئيس الهيئة الإشرافية للملتقى

د. خالد بن دهيش

- الأمين العام
- **د. أماني البريكان**
- التحرير

د. إبراهيم إسماعيل عبده

- التصميم والإخراج:

أ. صفوان يحيى مسعد

تمهيد

يعرض هذا التقرير قضيةً مهمةً تمَّ طرحُها للحوار في ملتقى أسبار خلال شهر أكتوبر 2015م، وناقشها نُخبةٌ متميزةٌ من مُفكِّري المملكة في مختلف المجالات، والذين أثروا الحوار بآرائهم البنَّاءة ومقترحاتهم الهادفة؛ حيث تناولت: " حادثة تدافع الحجاج بمنى ".

المحتويات

الموضوع	الصفحة
تمهيد	1
قراءة تحليلية ورصد لمواطن الخلل	3
هل القصور أمر طبيعي؟	8
السلوك الفردي والسلوك ضمن الحشد	9
قصور الأداء الإعلامي	11
الموقفان الإيراني والتركي	14
أ- الموقف الإيراني	14
ب- الموقف التركي	18
الحلول المقترحة وآليات المعالجة	20
المشاركون في نقاشات التقرير	26

قراءة تحليلية ورصد لمواطن الخلل:

أشار د. عبدالله بن ناصر الحمود إلى أن الإشكال الأكبر في حادثة التدافع في منى، أن إنكار الجهود العظيمة وغير المسبوقة للمملكة على مر العقود الماضية في عمارة المشاعر وتجهيز البنى التحتية الكبرى، يعد نكراناً للجميل، وعقوقاً عظيماً. وفي الوقت ذاته، لا يمكن الإقلال من مسؤولية أجهزة التخطيط والتنظيم والتنفيذ فيما حدث من وفيات وإصابات. والأمر جد خطير وسيكون دولة بين ثلاثة تيارات: الأول موالٍ للدولة ومجامل جداً جلها، ومغلب لمصلحة تلك الأجهزة، ومن ثَم سوف يهون من الأمر، ويعظم جهود الأجهزة. والثاني، موالٍ للوطن بكل أجهزته، لكن سوف يحبطه جداً ما حدث وسيسعى للتحليل والنقد، ويورد جملة من الحلول ستكون على عدة مداخل، أهمها اثنان: ما هو من داخل الصندوق، بمعنى حلول للأزمة وردَّات فعل إجرائية، وما هو من خارج الصندوق ينظر للحج كمهمة ويعيد التفكير في إدارتها من دون الاعتبار لما هو قائم بالضرورة. أما الثالث، فهو تيار المتربصين. وهؤلاء كثير في الداخل والخارج، سينقضون على كل جهد سابق وراهن للدولة، وسيسعون لاصطياد الحدث فهو ذريعة كبرى لمريدي الاختراق لمجتمعنا والنيل منا.

وأوضحت د. الجازي الشبيكي إلى أن المملكة تبذل جهوداً جبارة لخدمة الحجيج وحصول أخطاء بين حينٍ وآخر أمر متوقع أمام تجمع الملايين من الحجاج في أماكن محدودة، ولكن تلك الأخطاء تعد قليلة قياساً للإيجابيات والإنجازات بحمد الله، ولا يخفى الهجمة الإعلامية القاسية على بلادنا في مجال الحج وغيره ومناداتهم بين حينٍ وآخر بتدويل الأماكن المقدسة وهذا أمر لا نقبله جميعاً كوننا نتشرف بخدمة الحجاج ونعتز بها. والبلاد في هذه الفترة في ظروف صعبة على عدة ثغور (الحرب والإرهاب والاقتصاد وغيره). كذلك فقد أكدت د. فاطمة القرني على أن الدولة تبذل جهداً كبيراً من قطاعات عديدة، ولنا أن نقارن أي تجمع رياضي معد له من سنوات وما يحدث فيه من كوارث متكررة وبين نسبة نجاح تسيير الحجاج في منطقة صغيرة صعبة التضاريس كمكة !!..

ومن جانبه أشار د. حمد الماجد إلى أن الكيان فعلًا مستهدف والمغرضون الذين انتهزوا حادثة التدافع المؤسفة كثر.. لكن خطوات الدولة نحو مأسسة أعمالها وترتيب مشاريعها الكبرى ودراسة خططها الاستراتيجية ومغالبة الفساد، ما برح يسير بخطوات متثاقلة،

بينما أوضح أ.د. عبدالرحمن العناد أنه يختلف تماماً مع سياسة الضعف ضد الانتقادات والحملات الخارجية وفي الوقت نفسه لا يتفق مع استغلال الحج للدعاية الممجوجة رغم كثرة المشاكل وسوء التنظيم وإصرارنا على التطبيل حتى عندما تقع الكوارث.

واتفق أ. خالد الحارثي مع ما ذهب إليه أ.د. العناد حيث قال: إذا كنا سنتهرب من المسؤولية عن التقصير في مراقبة الجودة والأمن والسلامة وتفعيل المراجعة والمحاسبة عند حدوث كارثة فهذه كارثة، الحج سيبقى تحدياً كبيراً رعايةً لسلامة الأرواح وإسهاماً في رفع مستويات الرضا والغبطة في أداء هذا المنسك العظيم، ولولا هذا النقد لما أنجزنا منشأة الجمرات على سبيل المثال، النقد هو أولًا محاولة للفهم وتفسير هذه الكوارث، من لا يهتم ليس علينا الزج بالاهتمام في قلبه، إذا تمكنا من فهم أدوات وكوادر الإدارة وعمقها المعرفي على الأقل يتضح لنا الفشل بدل التعويل على وهم، وهذه ليست تهمة للأشخاص فالكل مجتهد بكل طاقته ومأجور بإذن الله وفوق كل ذي علمٍ عليم.

وأكد اللواء د. سعد علي الشهراني على أنه يتفق مع القول بأن "التطبيل" وتبرير الأخطاء والسكوت عليها أيضاً مرفوض، لكن لدينا ما نفتخر به ولدينا إنجازات ... نعم لدينا مشاكل حقيقية ومعظمها إداري بالمعنى الواسع للإدارة الذي ينظر لقضايانا ومشكلاتنا السياسية والاقتصادية على أنها قضايا إدارية أساساً.. الأفضل أن نترك الأعمال والأفعال تتحدث ولكن نحتاج أن يعرف أصدقاؤنا وأعداؤنا معاً ما حققناه ويجب ألا نسمح بأن تشوه مواقفنا وأوضاعنا... الحجاج هم سفراؤنا .. وتساءل د. سعد: هل نسمح لأعدائنا والمغرضين أن يستغلوا كل حادث أو تقصير أو خطأ أو أن يقلبوا الحقائق أو يغمطوا الجهود المبذولة وهو خيالي بكل معنى للكلمة!

وذكرت أ. ليلى الشهراني أن التركيز على القصور يخدمنا أكثر من تعداد الإنجازات، فالجهود المبذولة ملاحظة، لكن شرف المكان وشرف خدمة ضيوف الرحمن يستلزم الاستفادة من النقد السنوي، ومحاولة تفاديها في كل موسم.

وقال أ. أسامة نقلي: لا أحد يختلف مع أهمية النقد، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه؛ كيف يمكننا أن ننقد من دون أن نعطي أعداءنا في الخارج طُعْماً للاصطياد في المياه العكرة ومحاولة زعزعة أمننا واستقرارنا.

وأضاف أ. مطشر المرشد: الكل متفق بأنه حادث تدافع وقدر لايمكن لأي إنسان سوي أن يتمنى حدوثه .. لكن أيضاً أرى أن النقد الصادق وفي التوقيت الصحيح يجب ألَّا يقمع ... وأضاف د. عبدالسلام الوايل: ثمة مناخ غير مريح في وسائل التواصل الاجتماعي لا سيما تويتر. حيث تركيز في غير محله على إدانة النقد. النقد مظهر من مظاهر أي مشكلة. هذا شيء طبيعي حتى لو لم يكن النقد دقيقاً أو مصيباً... حتى النقد المستعجل ظاهرة مصاحبة للمشكلة. لا يجب أن تركز الجهود عليه أو يتم استنكاره بداهة.

وأوضح أ. عبدالله الضويحي أنه رغم ما ينشر على الواقع من نقد أو تطبيل .. هناك تقارير وتصوير ورصد حقيقي لكل السلبيات وموثق يصل للمسؤول الأول عن الحج وشؤونه. وأضاف أ. عبدالله قوله: عندي قناعة وإيمان مطلق بأن خير وسيلة إعلام للحج هي الحاج نفسه إذا استطعنا خدمته على الوجه المطلوب. لكن في الوقت نفسه نحن أمام مشكلتين:

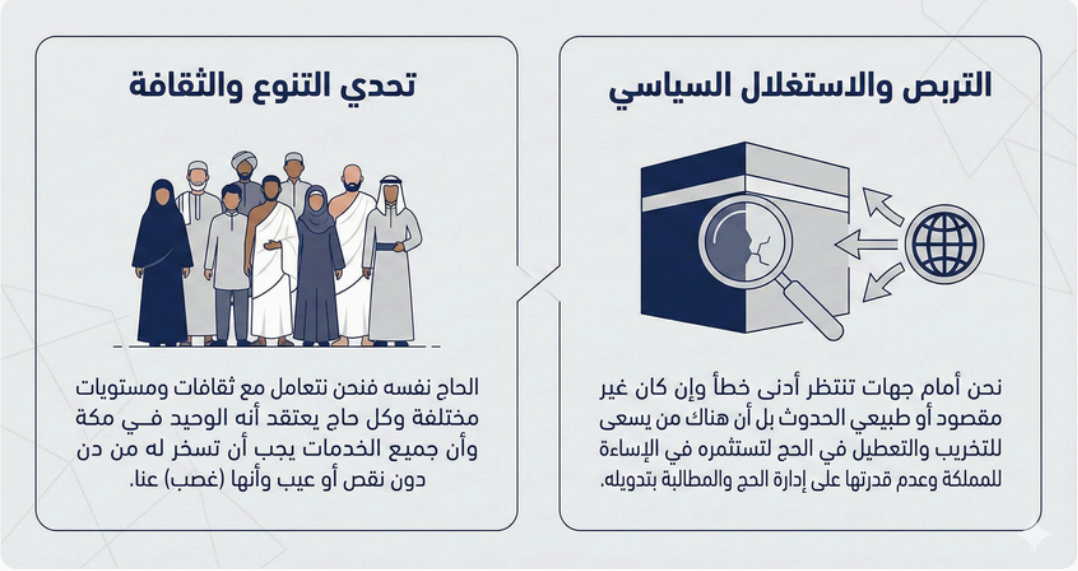

على مدى السنوات الماضية .. كم موسم حج انتهى على خير من دون منغصات أو أحداث كبرى؟! وكم موسم حصلت فيه بعض الأحداث منها ما هو خارج عن الإرادة ومنها غير ذلك؟ المشكلة هي تضخيم ما يحدث من أخطاء وتجاهل ما يحصل من إيجابيات.

وذكر د.م. نصر الصحاف أن التطبيل ومدح أنفسنا والإشادة الذاتية لما هو واجب يحتمه موقعنا الدولي كقبلة للمسلمين يرجح الكفة التي عرج عليها د. العناد بأنه يجب أن نبذل الأكثر والأكثر في سبيل راحة ضيوف الرحمن من دون منة أو إشادة فهو واجب في المقام الأول ولا ننسى أن المعيار ليس ما نراه كمواطنين بل ما يراه الزوار وحتى غير الزوار عبر نافذة العالم التي يصعب التحكم بها في ظل وسائل التواصل الإعلامي الخاص والمتاح للجميع....إن ما قد نراه منجزاً هو غير ذلك من وجهة النظر الدولية؛ لذا وجب علينا في هذه الظروف بذل المزيد والمزيد من دون الالتفات إلى الإشادة أو المديح THERE'S PLENTY OF TIME FOR THAT LATER!

أما د. خالد الرديعان فيرى أن القضية هي أن سيادة البلد مهددة ومكمن التهديد أن هناك من يزعم بوجود قصور في الخدمات المقدمة للحجاج... ماذا نفعل والحال كذلك؟ ألا تستطيع إيران أن تؤلب علينا عشر دول إسلامية لتخرج بقرار أننا عاجزون عن إدارة الحج؟ إن من الضروري أن يقوم الإعلام بإبراز كل الجهود المقدمة للحجاج.

ومن جهته قال د. عبداللطيف العوين: لا أتفق مع الطرح أن الحج يسير من دون تنظيم ولا تخطيط وأنه بالبركة فاللجنة تعمل من محرم وهي تعلم أنه بعد عشرة أشهر تكون منتهية، بل إن تنظيم الحج - على الرغم مما يعتريه- هو أفضل ما يتم فيه المنظور الوطني بشكل شامل لكافة الوزارات .. يمكن أن يكون الإعلام مقصراً... نعم، كما في غير مجال الحج.

ومن جانبه تساءل د. حسين الحكمي: ما هي المعايير التي من خلالها يمكن قياس نجاح الحج وبأي درجة؟.. وفي سياق تعليقه قال د. حسين: الطرح بشكل عام لا يتجاوز التنظير وطرح آراء، والسبب أن كل منا ينظر إلى الموضوع من زاوية مختلفة موجودة في ذهنه، ولم تطرح بشكل واضح ومحدد ليتم مناقشتها. عدا ما ذكر عن الجانبين الإداري والإعلامي لا أرى فيما ذكر شيئاً واضحاً يمكن أن نبني عليه نجاحاً أو فشلًا كجوانب مطلوب قياسها. بالتأكيد هناك عمل وجهد ومال ووقت يبذل والكل يسعى أن يحقق النجاح، لكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه. هذا جهدهم وهذا ما وصلوا إليه. إن كنا نرى أنهم أخفقوا فعلينا أن نقول لهم فيما أخفقوا، وما الذي يجب أن يفعلوه ليتجاوزوا هذا الإخفاق. أستطيع وبكل بساطة أن أقول أن أمريكا فاشلة وأسكت أو أطرح كلام عام وبعض أمثلة عشوائية لا يمكن قياسها أو أنها لحالات فردية.

إن المقابلات التلفزيونية مع الحجاج وكلامهم الجميل عن الحج ليس مقياساً لكنه شيء إيجابي. كما أنه يعبر عن وجهة نظر الحاج نفسه المبني على توقعاته السابقة التي وضعها. مثلًا، قبل سنوات حججت مع إحدى الحملات مع والدتي حفظها الله، فكنت أتحدث عن بعض التقصير في الخدمات التي تقدمها الحملة وكان أبرزها المواصلات في يوم عرفة، كان ردها مختلف بشكل كبير عما في بالي، فهي ترى أن "الأجر على قدر المشقة"، وتقارن حج ذاك العام بالصعوبات التي كانت موجودة قبل سنوات سبقت عندما ذهبت للحج مع والدي، حفظه الله، وكنت حينها صغيراً يحملني أبي على ظهره... توقعاتنا وخبرتنا وخلفيتنا والمعلومات التي لدينا كلها تؤثر في حكمنا على خدمات الدولة في الحج . لذلك وضع معايير يتم من خلالها قياس نجاح الحج يجعلنا أكثر موضوعية ونبتعد عن الذاتية...اللقاءات الإعلامية لا تقدم رأيا حقيقيا، فعندما يلتقي حاج مصري أو عراقي أو من شرق أسيا مع قناة سعودية أو محسوبة على السعودية فغالبا سيذكر المحاسن فقط. لكن لو كان هناك مقابلات مفتوحة معتمدة على أسئلة أو محاور يُسأل عنها الحاج ويؤخذ رأيه ويتم تحليله عبر دراسات كيفية فيمكن حينها الخروج بدراسة علمية تساعدنا على التطوير والتحسين.

وعلق د. عبدالرحمن العناد على مداخلة د. حسين الحكمي بأن الدولة لا تحتاج إلى التطبيل بقدر احتياجها للنقد لأن الأصل هو تقديم الخدمات كواجب من دون منة ولا يحتاج للكلام عنه ويلزم الحديث عن أوجه القصور.

هل القصور أمر طبيعي؟

قال د. مساعد المحيا: لعلي أتساءل حينما يمرض بعض الحجاج في المدينة مثلًا أليس جميلا أن تقدم لهم الدولة العلاج ... ثم أليس أجمل من ذلك أن تقدم لهم سيارة إسعاف لتنقلهم للمشاعر ..على الرغم من ضخامة العدد وارتفاعه.. هذا العمل أحسبه مما يحسب لنا ويجب أن يبرز ... ووالله لو صنعت ذلك دبي مع بعض المرضى لكان كثيرون يحتفون بهذا ...!! لذا أجد أن من العقل والحكمة أن نقول للمحسن أحسنت خاصة حين يقوم بما ليس واجباً عليه .. إعلامياً حري بنا أن نوظف ذلك فمثل هذه الجوانب الإنسانية لها فعلها وأثرها في نقل الصورة الايجابية عن جهودنا تجاه الحجاج .. أنا من أكثر الناس الذين ينتقدون استخدام الموقف الخطأ واللغة الخطأ والوسيلة الخطأ في الجهد الإعلامي المقدم للحجاج .. وقد كتبت في السنوات الماضية الكثير من ذلك بل وأمقت التطبيل أو أن يغدو المرء طبالا لأي جهد أيا كان ....لكني أحسب أن من أكبر أخطائنا أننا أصبحنا نجلد ذاتنا حتى غدا سيئاً ما كان حسناً .. سأكون صريحاً بعض الشي وحديثي عام وبخاصة من يمتطون تويتر وسناب شاة لجعل كل منجز محل نقد وسخرية ... ربما نكون اليوم بحاجة لتثقيف الكثيرين وبخاصة النخب وربما إعادة التأهيل لعدد من الذي استمرأوا الصورة السلبية.

واقعنا اليوم ممتلئ بكثير من أولئك الذين يتجاوزون الأنظمة سواء من الكبار أو من عامة الناس والحج مع هذه التجاوزات تصبح مهمات المسؤولين التنفيذيين فيه صعبة جداً ... لاحظ من حولك كم عدد الذين سيحجون دون تصريح ؟؟ من يدرك صعوبة إدارة الحشود وبخاصة حين تكون هذه الحشود تجمع بين الجهل وعدم الانضباط والنظام ووجود الاختلافات الفقهية والاجتماعية والسياسية والثقافية يدرك أن إدارة الحج بما تتطلبه من يقظة أمنية يتطلب الكثير من العمل في بيئة لا تساعد إطلاقاً على النظام أو اتباعه .. وكم يؤسفني اليوم أن أرى مثقفين ومتعلمين ودعاة يذهبون اليوم للحج بلا تصريح مع أن هؤلاء هم أقرب الناس للالتزام بالنظام .. مثل هؤلاء لن يلتزموا بأي تنظيم يتم في مكة والمشاعر إن وجدوا فرصة لمخالفته ... وحين يمارس ذلك أهل البلد الذين بهذا المستوى فماذا نتوقع من غيرهم....؟ إعلاميا نحتاج أن نطور لغتنا وأن ننجح في نقل الصورة الجميلة تجاه ما يقدم فعلًا للحجاج ولغيرهم .. وأملي غداً أن أجد لدى تلفزيوننا العزيز لغة أخرى في نقل مراحل الحج من كل المشاعر لاسيما وأن العالم يرى غداً كل ما نقدمه وقدمناه .. لضيوف الرحمن .. وألّا نجد اللغة المتخشبة المكررة والمملة حيث ينقل المايكروفون إلى الزميل فلان من تلفزيون السودان مثلا ثم يقول المذيع أحييكم من صعيد عرفات الطاهر ثم يلقي كلمة مملة لا علاقة لها بالحدث أو المشاهد الحية ..!! مسؤولية إعلامنا كبيرة وعظيمة وهي ينبغي أن تكون بمستوى الحدث إذ هو يوم الحج الأكبر فحري بإعلامنا أن يكون في جهده ومهنيته كبيراً بل ينبغي أن يكون في يومه الإعلامي الأكبر.

وعلق د. عبدالرحمن العناد على مداخلة د. مساعد بقوله: نُقدر كل ما تقدره لكن المرضى في كل دول العالم ينقلون بسيارات إسعاف هذا من أقل واجبات الدولة على الحجاج. وقال د. زياد الدريس: لدينا خبرة متراكمة في الحج مدتها فقط 1436 سنة، ورغم ذلك ما زلنا نكرر أخطاء متشابهة " نسبياً " منذ ذلك التاريخ حتى اليوم !

السلوك الفردي والسلوك ضمن الحشد:

أوضح د. علي الحكمي -اعتماداً على دراسة ميدانية سبق وأن أجراها مع أحد زملائه عن ازدحام الحجاج عند الجمرات من منظور نفسي اجتماعي- أن حالات التزاحم والتدافع أمر يحصل في المواقف المزدحمة، وأحياناً تكون أسبابه تتعلق بالوضع النفسي أثناء الازدحام، فحالة هلع واحدة قد تنتقل كالعدوى وتتسع حتى يحدث أن يخرج الناس عن فرديتهم ويتحركون كمجموعات، وهنا تحدث الكارثة.

علينا أن نتأنى في عزو الحادث لأسباب سوء التنظيم أو إدارة الحشود ... الحوادث من هذا النوع حدثت في دول متقدمة ومع إجراءات أمن وسلامة مرتفعة وحشود أقل، حدثت في دور سينما وملاعب كرة القدم وصالات وغيرها. الأسباب كثيرة ومنها سلوك الإنسان والتغير فيه أثناء الازدحام الشديد والشعور بالرعب والهلع، وهذا عامل مهم يجب ألّا نستبعده.

وعلق د. حسين الحكمي على رأي د. علي الحكمي بأن سلوك الإنسان عندما يكون منفرداً يختلف عنه عندما يكون ضمن حشد أو مجموعة. يبدأ العقل الجمعي بتحريك الجمع حتى لو كان في اتجاه خاطئ. لو قام شخص بتنبيه الناس بأنهم على خطأ وأن الاتجاه الذي هم فيه غير صحيح فإن صوته لا يسمع وربما تعرض للعنف أو الاستحقار. العواطف محرك أساس في تدافع الحجاج ومحاولتهم الرمي في وقت معين ومكان معين من دون مراعاة لما قد يحصل من آثار. طغى عليهم العقل اللاواعي فقرروا أنهم لن يتراجعوا وأنهم سيحققون هدفهم أو يموتون دونه لأن غايتهم الجنة وإن ماتوا في مثل هذا المكان وهذا الزمان فإنهم قد فازوا فوزاً عظيماً. ومن ثم فإن على المنظمين أن يراعوا كل العوامل النفسية والسلوكية للبشر وتوقع أي فعل وكيف يكون التدخل سريعاً وفاعلًا. إدارة الأزمات فن وعلم لا يجيده أي أحد.

وعبرت أ. فايزة الحربي عن دهشتها بقولها: رغم التنظيم الجيد واستنفار الجهود والعدد الأقل بكثير من الحجاج في الأعوام السابقة يحدث التدافع لدرجة الموت بالمئات أمر مثير للأسئلة.

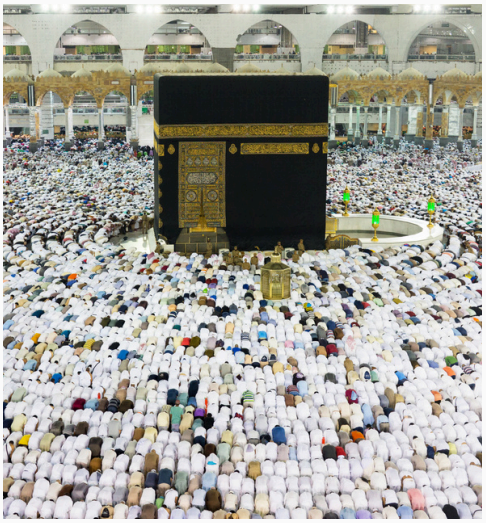

وفي السياق نفسه قال أ. خالد الوابل: لنا أكثر من خمسين سنة ونحن نعرف أن الحجاج كبار سن وأميون وأن هناك تدافعاً وافتراشاً.. لكن ماذا فعلنا نحن طيلة النصف قرن؟ لا تخلو سنة من فاجعة.. الحج شعيرة دينية وإضافة إلى هذا فهي واجهة للعالم يتم تقييمنا بسببها؛ فماذا نحن فاعلون أين هو معهد أبحاث الحج ولجنة الحج العليا؟ إذا نجحنا في الحج تبادلنا التهنئة فلماذا لا نتبادل النقد والمحاسبة في حالة الإخفاق؟

قصور الأداء الإعلامي:

أشار أ. علي عبدالله بن علي وكذلك أ. فايزة الحربي إلى أن القنوات السعودية تعاملت ببرود مع الخبر ولم يحظَ بالتغطية المناسبة. وأضاف د. علي الحكمي: إعلامنا يزيد وطأة الأزمة، ولا يسهم في تخفيفها، هناك إستراتيجيات للإعلام في أوقات الأزمات والكوارث، يبدو أن القائمين على إعلامنا لا يعون ذلك.

وأكد د. فهد الحارثي على أن الإعلام السعودي هو أولى الناس بشرح ما حدث .. فإذا ترك هذا الأمر لغيره فدونك التكهنات والتفسيرات والتأويلات .. حتى إذا تفاقم الوضع فلات ساعة مندم !! هذا فضلًا عن أن عدم إعطاء الحادثة ما تستحق من الاهتمام سيعطي انطباعاً أسود عن اهتمام السعوديين بضيوف الحج ! .. بل سيعطي انطباعاً بأننا أناس غير مبالين.

وأضاف أ. أسامة نقلي: المشكلة ليست في الإمبراطورية الإعلامية الموجودة ... المشكلة أن إمبراطوريتنا الإعلامية تتحدث مع بعضها البعض، وتفتقد للغة الخطاب الإعلامي الموجهة للعالم، على غرار الإمبراطوريات الإعلامية الأمريكية والبريطانية والفرنسية لذلك فإن إعلامنا أصبح شاهداً علينا، لا شاهداً لنا.

وأضاف اللواء د. سعد علي الشهراني أن تعامل الإعلام الرسمي لا يزال متخشباً ومتخلفاً ومتردداً أمام حدث جلل المفروض أن الإعلام العالمي كله يأخذ من إعلامنا... الإعلام الدولي غطى الحدث بمهنية أما التدافع فقد يحصل إذا كانت الجموع كبيرة ويكفي أن يسقط أحد كبار السن أو مريض أو حتى شخص بكامل صحته فيتساقط فوقه من بعده ويتراكم من بعدهم فوقهم.

كذلك قالت د. سامية العمودي بنفس الرأي تقريباً ما نصه: منجزاتنا كبيرة ولمساتنا الإنسانية أكبر على مستوى الدولة ومستوى الأفراد لكننا نتقاعس عن إبرازها خجلًا وجهلًا وتكاسلًا ولم ندرك قوة الإعلام في تحويل بوصلة الأمم لنفسها وفي نظر غيرها وهذا ما تفوق فيه الآخر علينا. هناك قصور وهناك منجزات وهناك إعلام نائم لو كان إعلامنا بحرفية الإعلام الحقيقي لأبرز المنجزات بحجمها ووقتها يدرك العالم أن القصور لا يقارن بحجم المنجز ليس من باب التطبيل ولكن بالحقائق. كذلك فإنه لو أنفق المال والجهد على طرق الوقاية لكان العبء الاقتصادي والسياسي والنفسي والصحي والمجتمعي أقل مما نتج عن إهمال مفهوم الوقاية.

واتفق د. مساعد المحيا مع الآراء القائلة بأننا على المستوى الإعلامي نحترف التقهقر والارتجال بدلًا من أن نحترف العمل التلفزيوني الصحيح .. وأضاف د. مساعد: كيف تجدول قناتنا الأولى الخبر في ذيل اهتماماتها وتهتم بأخبار قديمة ..في حين يفترض في رأيي كمتخصص أن تخصص النشرة كلها له فمثل هذا الحدث أليم وفاجعة إنسانية وفي مكان يعد اليوم قلب العالم حيث الحج والمشاعر وقبلة كل الأحداث .. أليس في إعلامنا رجل رشيد؟ ... إعلامياً لا يمكن أن نستخدم لغة النجاح في الحج والاستمرار في ذلك على رغم من كل الأخطاء وفي الوقت نفسه نحتاج أن تكون لغتنا ونحن نتحدث عن المنجزات لغة لا يتلبسها المن والأذى هذا قدرنا وتلك إرادتنا.

إن بعض الحسابات الإنجليزية انتقدت كثيراً تصريحات خالد الفيصل وربطه ما جرى بالحجاج الأفارقة .. ومن وجهة نظره فإن هذه الحسابات تتهكم وتقول لماذا تبرئون الحجاج السعوديين ... بالتأمل في عدد من هذه الحسابات يتضح ولاؤها الإيراني .. إيران تعمل على استثمار الحادث للشغب على المملكة وتشويه جهودها .. نحتاج عملًا إعلامياً نوعياً وكبيراً وعاجلًا لا يقوم على فكرة رد الفعل وإنما ليصنع الصورة الجميلة في كل المشاعر المقدسة.... كذلك أضاف د. مساعد المحيا قوله: ما يقلقني كثيراً هو أننا نتقن وبأدوات كثيرة صناعة الأعداء .. وتضخيم العداوات وبخاصة مع من يجمعنا بهم مشتركات كثيرة.

كذلك فقد لاحظ د. مساعد المحيا من متابعته لمجموعة من البرامج والتقارير عبر البي بي سي ميلًا واضحاً لديها للرؤية الإيرانية ويتضح هذا من خلال متابعاتها وتغطياتها في سوريا والبحرين واليمن وكأن من يكتب ذلك إيرانيون أو ذو ميل إيراني.

وعلقت أ. مها عقيل على هذه الملاحظة بقولها: للأسف البي بي سي منذ فترة طويلة وهي تغطي أخبار السعودية بانتقائية وبطريقة سلبية هجومية... المفروض أن لدينا إعلاماً خارجياً في وزارة الإعلام دوره التعامل ومواجهة الإعلام الموجه ضد السعودية. وأضاف د. علي الحكمي: بالفعل BBC متحيزة، وبدورها أضافت أ. مها: والصحف البريطانية أيضاً. وقال م. سالم المري: معظم العرب العاملين في البي بي سي والحرة ومونت كارلو وغيرها بما في ذلك العربية هم من الأقليات وتجد ذلك منعكساً في الغالب على آراء تلك المنابر الإعلامية من القضايا العربية.

وذهبت أ. هيا السهلي إلى أن من يجهل إنجازاتنا هم غير السعوديين .. ثم مع فعالية اللغة العاطفية التي تنقل تفاني وقصص الإنقاذ جميلة ومؤثرة لكنها بلغت وتظل رسائل "واتساب" ومثل البنج المؤقت ! إن العالم الإسلامي سيظل يحكي قصص ما جرى على مدار العام ويستذكر حوادثه مع كل عام وحج فكيف يكون إعلامنا الإسفنجة التي تمتص غضب الشعوب لا غضب الشعب السعودي الذي لم يغضب لأنه لم يفقد عزيز بالحج ولأنه يعلم إنجازات بلده ولأنه لن يخرج في مظاهرات ضد دولته!

وأضاف أ. مسفر الموسى قوله: قبل عدة مواسم.. كتبت في تويتر عن تغطية إعلامنا لموسم الحج.. ولا أعلم هل تحسن الحال أم ما زلنا على عهدنا السابق.. وما كتبته وما يكتبه الآخرون هو إيمان بأن مناسبة الحج فرصة كبيرة جداً لنقل مجموعة من رسائلنا للعالم.. وفق إستراتيجية واضحة ومحددة المعالم. ومما ذكره أ. مسفر الموسى في مقاله حول التغطية الإعلامية للحج أنه عام بعد عام يثبت إعلامنا المحلي أن هذا الحدث العالمي المهيب أكبر من قدرته.. لم يتعلم هذا الإعلام أن تغطية موسم الحج تندرج تحت مسمى (تغطية الأحداث) بكل أساليبها وفنونها الصحافية المتفق عليها بين جميع المدارس العالمية.. إعلامنا لا يغطي الحدث، بل يغطي الخدمات المقدمة للحج بأسلوب دعائي فج، ويتغاضى عن كل القصص الإخبارية الجميلة والجذابة.

يعتمد إعلامنا على البرامج الحوارية ذات الصوت الأحادي للقيادات في الحج وعلى الرسائل الميته التي لا تقدم إلا صورة باهتة لهذا الحدث.. في يوم عرفة.. حيث قصص المناجاة والدعاء.. حكايا الشيوخ ودموع التائبين.. تنقله قنواتنا وكأنها حصة تعبير أو في أحسن الأحوال مسابقة للحناجر والأصوات من خلال: (وينتقل المايكروفون مع ... من جمهورية.. الشقيقة) .. في وقت الذروة.. يهدي التلفزيون نصف ساعة لرسالة ميتة ينتجها الحرس الوطني.. ويقدمها جندي بالزي العسكري الخالص.. هذه الدعاية الفجة لا تقبلها شاشاتنا الحديثة.. وكأن إعلامنا ينقل الحج من زاوية أمنية وبهاجس (يالله سترك) بينما هو فسحة إيمانية وربيع زماني متعدد الروضات بانورامي الزوايا.

إننا بحاجة ماسة إلى مركز إعلامي دائم لهذا الحدث يكون مستقلًا عن وزارة الإعلام يقوم بوضع استراتيجية مهنية للتغطية الإعلامية.. سواء المحلية أو الدولية، وتقوم بالتنسيق للصحف والمحطات التلفزيونية العالمية للتغطية العالمية،، كما تقوم بتنظيم دورات إعلامية للصحفيين السعوديين لتدريبهم على صناعة القصص الإخبارية والأفلام الوثائقية والمراسلين وغيرها.

الموقفان الإيراني والتركي:

أ- الموقف الإيراني:

فيما يخص الموقف الإيراني من حادثة تدافع الحجاج أشار د. محمد السلمي إلى أن إيران تعمل بقوة وحماس على كافة المستويات الإعلامية والدينية والسياسية للنيل من المملكة إقليمياً ودولياً. ومن ذلك ما قام به وزير خارجية إيران حيث بعث برسالة إلى كافة وزراء خارجية الدول الإسلامية لإدانة طريقة إدارة السعودية لموسم الحج كما تم رفع مذكرة إلى المحكمة الدولية تطالب بالتحقيق مع المسؤولين السعوديين في حادثة منى. وتم استدعاء القائم بالأعمال في السفارة السعودية بطهران ثلاث مرات خلال أيام، هذا غير الحشد الإعلامي الهائل في وسائل الإعلام التقليدية والإعلام الحديث ضد المملكة والمطالبة بتدويل الحرمين. نحن نعيش حالة من الحرب الإعلامية، والإعلام يفترض أن يكون على قدر المسؤولية الوطنية لمواجهة هذه الحملة الشرسة. الإعلام الإيراني والمأجور يسعى إلى التأثير على الجمهور وإن لم نعمل بالمستوى نفسه فسيكسب ونخسر الكثير. قد لا يروق هذا الكلام للمتشبثين بالمثالية والحيادية الإعلامية ونحوه ولكن هو الواقع كما هو من دون أي مكياج أو محسنات.

وقال د. حميد المزروع: تعرف إيران جيداً أنه، وبعد اعتقال الإرهابي المغسل والذي أعتقل في لبنان بأنها سوف تكون تحت ضغط دبلوماسي سعودي وأمريكي لدورها بالعمليات التي حصلت بالخبر، ولذلك فهي تستغل الحدث !!!

وذهب أ. مسفر الموسى إلى أننا نستطيع إعلامياً أن نواجه هذا التحدي الإعلامي الإيراني بمعطيات حقيقية وبمنطلقات مهنية. وقال أيضاً: كل ما أخشاه.. أن نواجه إيران بنفس إستراتيجيتها الإعلامية.. وهذا ليس مفيداً لنا على المدى البعيد... تاريخ إيران مع جرائم الحج مليء بالأحداث والوقائع الحقيقية.. لماذا لا تتبنى العربية عمل فيلم وثائقي استقصائي ضخم يبين هذا التاريخ؛ للرد -مثلًا- على اختراقاتها السيادية...؟ هنا نحن أمام حقائق.. وسلوك إعلامي مهني.

وعلق د. محمد السلمي على ما ذكره أ. مسفر بأننا نحتاج عمل إعلامي مقابل وقوي ولا يعني ذلك التجني والكذب. تاريخ إيران مليء بالأحداث الإجرامية التي تغني إعلامنا عن التزوير. عندما نطالب بحملة إعلامية سعودية لمواجهة نظيرتها الإيرانية لا يعني ذلك استخدام أدوات إيران ولكن الرد عليها بطريقة مقنعة وبالدليل وكل ذلك متاح ويحتاج إلى وسائل إعلامية جادة.

وأشارت أ. كوثر الأربش إلى أنه ومنذ ستة وعشرين عاماً وإيران يسيل لعابها على الحرمين الشريفين، لكنها كانت تتحرى الوقت المناسب. هذا ما صرح به الخميني قبل وفاته، حين قال: "سوف نزيل آلام قلوب شعبنا بالانتقام من أمريكا وآل سعود إن شاء الله في وقت مناسب، وسنضع وسم حسرة هذا الجرم الكبير على قلوبهم، ونضع حلاوة في حلق أسر الشهداء بإقامة حفل انتصار الحق، وبتحرير الكعبة من يد الآثمين سوف نحرر المسجد الحرام". لكن الخميني يعلم جيداً أن ما يسميه تحرير الحرمين لن ينفذ بقوة السلاح، ولا بهذا التهريج. يعلم أنه لن يتمكن من غزو الأراضي السعودية، وتطويق الحرمين، ومن ثم احتلالهما. يعلم أنه سيبوء بالفشل إزاء قوة المملكة. إنه لن ينفد بجلده من غضب وانتقاد الأمة الإسلامية والعالم؛ لأنه لن يجد مبرراً يصمد أمام العقلاء. فكان لا بد من سلاح آخر. سلاح التعتيم الديني، هكذا أسميه مقابل «التنوير»، وهو العزف على الأوتار الدينية الحساسة. كان لا بد من تمويه السكين على شكل وردة! أعني إخفاء طمع الاحتلال خلف ملامح دينية تدغدغ مشاعر العامة: كالمظلومية، الطغيان، الشرك، تطهير الحرمين من الوهابية! وغيرها من المفردات، التي أعتقد أنها تبني الجسر المؤدي لغايته القصوى في احتلال الحرمين. رحل الخميني قبل التوقيت المناسب، لكن الطموح ما زال ينبض في النفوس الإيرانية.

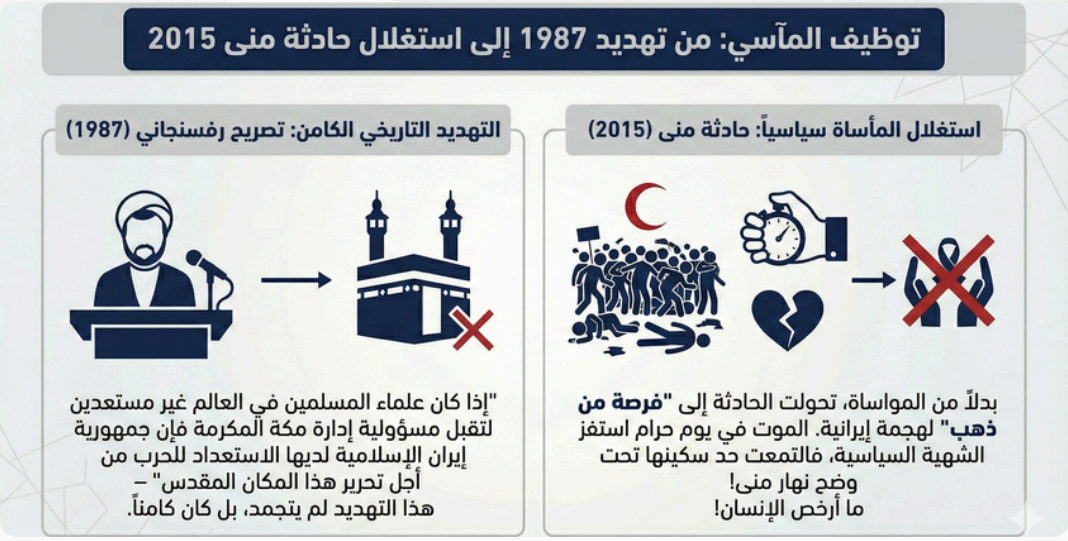

ما فتئت إيران تقدم نفسها بديلًا للمملكة، تحت أي مسمى، تحت أي حجة، في أي مناسبة، وإن كانت مغسولة بالدم. مثلما استفادت من وحشية داعش؛ لتقدم نفسها حمامة سلام للشرق الأوسط، للعرب، للمنطقة كلها! فإن كانت داعش أبشع أنموذج دموي منسوب إلى الإسلام فإيران أبشع أنموذج وصولي، منافق، ومتملق وتبشيري! كلاهما، داعش وإيران، يتعكز آيات الله للسيطرة على المرضى والسطحيين والسذج. وكلاهما ـ وإن لم نؤكد اتفاقهما المعلن ـ يساعد بعضهما باتفاق ضمني لتقويض أركان بلادنا، وهيهات! داعش تقتل باسم الإسلام، وإيران تقدم إسلاماً مسالماً ظاهرياً بديلًا لإسلام داعش الدموي. دوامة شرسة يشوبها الغموض والريبة. ما يؤكد شروع إيران لاقتناص الفرص لتقديم نفسها كبديل إسلامي بريء ما قاله مسؤولون إيرانيون، أو ما قاله الأمين العام لحزب الله، السيد حسن نصر الله، تعليقاً على هامش حادثة تدافع الحجاج في منى: "إن إصرار الحكومة السعودية على منع الدول الإسلامية من المشاركة في الإدارة لم يعد له أي منطق". ملمحاً لضرورة التعاون الإسلامي في تنظيم الحج! إنها فرصة من ذهب لتأليب العالم الإسلامي ضد المملكة، وسحب بساط السيادة من تحتها. هكذا تعتقد واهمة إيران وحلفاؤها. السياسة في أبشع صورها، إنهم لم يروا الموت، لم يروا الجثث الممددة على أسرة الإسعاف، لم يروا كل تلك الدموع التي نزفت لأجل الراحلين، رأوا فقط: «الوقت المناسب»! بكل هذا الخبث.

وأشار د. محمد السلمي كذلك بأن على إيران التخلي عن حشدها المذهبي والسياسي والإعلامي ضد المملكة، وتشكيكها في مقدرتها على إدارة الحرمين الشريفين، والشواهد التاريخية تؤكد أن طهران تسعى إلى إثارة الفوضى في مواسم الحج منذ أكثر من ثلاثة عقود. عندما تكون المشكلة متمثلة في حالة أيديولوجية وإستراتيجية في أن واحد، فإنه يصعب حلها وتحتاج إلى مراجعة من الداخل أو إلى تحجيم من الخارج. هذه المعضلة تتمثل في أيديولوجية يتبناها النظام الإيراني ويبدو أنه لن يتنازل عنها بسهولة.

يتمثل ذلك في الاعتقاد يقينا بأن إمام الزمان الغائب "المهدي المنتظر" الذي نصب الخميني نفسه نائباً عنه في هذا العصر، وأطلق على نفسه "نائب الإمام" و"الولي الفقيه" وسار على نهجه بعد ذلك علي خامنئي، لن يعود من غيبته حتى تسيل الدماء في مكة ومنى ويتم تلطيخ جدران الكعبة بالدماء. هذا ليس استقراء أو تجنياً أو تهكماً، بل حقيقة ماثلة لا يمكن إنكارها. معظمنا شاهد التسجيل المتداول لحسن رحيم بور ازغندي مستشار المرشد الأعلى، وأحد أبرز منظري التيار الأصولي الذي يدير إيران. يقول ازغندي بالحرف الواحد: "لا تتحقق العدالة في العالم إلا من خلال أمرين: العلق "الدم" بحيث يكثر القتل حتى تسيل الدماء، والجهد أي العمل على تحقق الهدف". لكن، هنا قد يتساءل البعض عن المكان والزمان لانطلاقة تحقق العدالة المزعومة. يجيب مستشار خامنئي بالقول: "لا بد أن يبدأ التحرك من مكة، فنغرق في العلق والعرق، من خلال تحرير الحجاز ومن ثم العراق". مجددا، يبرز سؤال آخر حول من يقوم بهذه المهمة. المستشار والمنظر ازغندي يملك الإجابة أيضاً، إذ يؤكد أن: "الإيرانيين يشكلون الأغلبية" في تحقيق ذلك. ربما يكون مستشار خامنئي قاده الحماس الثوري والتعبوي إلى التخلي عن "التقية السياسية" كما حدث مع علي يونسي مستشار الرئيس روحاني عندما قال، أن بلاده بصدد إعادة تشكيل الإمبراطورية الفارسية وعاصمتها بغداد. عموماً، لا يهمنا ذلك كثيراً، بل الأهم البحث عن الأدلة والشواهد الداعمة لسياسة النظام الإيراني هذه وهي لا تكاد تحصى. فمنذ انتصار الثورة وإيران تعمل على إثارة البلبلة في موسم الحج، وكان الخميني يقول: "إن الجانب السياسي في الحج أهم من الجانب الديني والروحي". ولهذا استمر النظام الإيراني منذ ذلك الحين في تعكير صفو الحج، ومضايقة ضيوف الرحمن سواء في المدينة المنورة، أو مكة المكرمة والمشاعر المقدسة. من جانب آخر، كان الخميني يجتمع بمسؤولي حملات الحج الإيرانية قبل توجههم إلى مكة ليقدم لهم التعليمات، ويحثهم على إطاعة توجيهات قادة الحملات وتنفيذ أوامرهم، وهذه حقيقة تدعمها كثير من الوثائق والمصادر الإيرانية أيضا. وأوضح د. محمد السلمي أنه وعلاوة على ذلك، كان رؤساء حملات الحج الإيرانية خلال فترة الحرب العراقية الإيرانية يوجهون الحجاج -وأغلبهم من الحرس الثوري- نحو العدائية تجاه رجال الأمن في السعودية، ويقولون لهم أن رجال الأمن هؤلاء هم الذين يدعمون صدام حسين ويقتلون أطفالكم ويدمرون منازلكم. من المعلوم أن نتيجة كل هذا الشحن الأيديولوجي برزت عام 1986 عندما أحبطت الجمارك السعودية تهريب قرابة 150 كجم من متفجرات من نوع "C4" كانت كفيلة بنسف منطقة الحرم المكي كاملة، وتم تسجيل اعترافات الحجاج الإيرانيين حينها، ولكن أجهزة الأمن السعودية لم تعلن ذلك في حينه خشية حدوث أي ارتباك لدى ضيوف الرحمن.

لم ترعوِ إيران وأصرت على تهديد أمن الحجاج وتعكير صفو هذا النسك مجدداً، فكانت كارثة عام 1987 التي أودت بحياة 400 شخص من بينهم كثير من رجال الأمن السعوديين وحجاج من دول مختلفة. بعد تلك الحادثة توقفت إيران عن إرسال حجاجها قرابة ثلاثة أعوام، ولكن لأن إراقة الدماء في مكة ترتكز على ثابت أيديولوجي وثوري، كلفت طهران أتباعها وأذرعها ليقوموا بتنفيذ المهمة نيابة عنها، فكانت حادثة التفجيرات بمنطقة الحرم، وحادثة نفق المعيصم الشهيرة وغيرهما كثير. وأخيراً، سبق حج هذا العام تهديدات إيرانية بأنه سيكون موسم حج مختلفاً، وكرر الحوثي وأمين حزب الله اللبناني التهديدات ذاتها؛ ما يجعلنا نعيد النظر كثيراً في قراءة مشهد التدافع الذي حدث يوم النحر في مشعر منى، وأخذ جميع الاحتمالات في الحسبان، ومع ذلك نحن في انتظار النتائج الرسمية للتحقيق في الحادثة. واختتم د. محمد السلمي تحليله بقوله: على إيران التخلي عن هذا الحشد المذهبي والسياسي والإعلامي ضد المملكة، وتشكيكها في قدرة السعودية على إدارة الحرمين الشريفين، فالتاريخ والعالم كفيلان بالرد على هذه المزاعم الإيرانية، والشواهد التاريخية تؤكد أن إيران ما انفكت تسعى إلى إثارة الفوضى في مواسم الحج منذ أكثر من ثلاثة عقود. من جانب آخر، نجد أن إيران لم تطالب بتدويل المسجد الأقصى حتى يتم تحرير الأراضي الفلسطينية كاملة، كما أنها لم تطالب بتدويل النجف وكربلاء بعد فاجعة جسر الأئمة، ومقتل أكثر من ألف من بين بضعة آلاف وليس ملايين كما هو الحال في موسم الحج. إيران مندفعة سياسياً وإعلامياً وأيديولوجياً، وربما يكون هذا الاندفاع مجرد هروب إلى الأمام قبل ظهور نتائج التحقيقات، وكشف مزيد من نشاطها الإرهابي أمام العالم.

ب- الموقف التركي:

من ناحية أخرى، وتعليقاً على موقف تركيا، قال د. عبدالله الشمري: إصدار الرئيس أردوغان وهو رأس السلطة السياسة بياناً فور وقوع الحادثة وذكر فيه عدد المتوفين 200 فقط ثم تصريح رئيس الشؤون الدينية من مكة كانا سلبيان وبني عليهما كثيراً في تركيا .. أعتقد في مثل هذه المواقف التاريخية المصيرية يجب ألَّا نأخذ موقف الدفاع من باب كسب صوت متقلب وقناص فرص .. بل يجب المضي في إعلان نتائج التحقيق من دون تردد أو تأخير... كذلك فإن توثيق المواقف وتحديد الشخصيات التي تحاول تسجيل بطولات سياسية وانتخابية على حساب السيادة السعودية يجب أن يتم من دون إعطاء أي تبرير.

وبدوره قال د. عبدالله الشمري أن المعيارية مهمة جداً في تقدير موقف دولة أنه إيجابي أو غير ذلك ... الانطباع غالب لدينا "وعين الرضا عن كل عيب كليلة" لكن في السياسة لا قيمة للانطباعات والعواطف .. هنا واقع موجود ومعرفته من المتخصص تحدى بغض النظر عن العموميات أو الأحكام المسبقة... القرار هو لصاحب القرار السياسي ويقدره بحسب المصلحة لكن دور الخبير والمختص السياسي ودور النخب هو تقديم الصورة كما هي وليس كما هو يريد أن يقدمها.

وما لبث د. مساعد المحيا أن أضاف: لو كانت العلاقات بين الدول تقوم على تطبيق حازم على المعيارية ما أخال أننا سنجد صديقاً ... لكنها مواقف تتبدل وتتغير ...في أزمة الخليج إبان احتلال العراق للكويت وقف الملك حسين موقفاً بارداً ووقف ياسر عرفات وعلي صالح مع صدام وحين كتب الله لنا النصر عادوا وعدنا لعلاقة مستمرة معهم ... صحيح نحن نحتاج أن نعرف الحقيقة لكن من الصعب أن نتجاهل المواقف المعلنة. وبالنسبة للخبير السياسي فإنه ينبغي أن يستصحب وهو يقدم رأيه كل المعطيات والظروف، المهم ألَّا يميل للرؤية المتشائمة ولا المتفائلة بناء على مبدأ الرغبوية وإنما من خلال النظر بكل المعطيات والتجرد في الرأي مع البعد عن الأحادية في الموقف والقرار.

وعلق د. عبدالله الشمري على ذلك بقوله: هذا غير موجود في الدول العربية لأن الجميع -غالباً- خبراء وعارفون وينقلون الأخبار من "قوقل" وإن قال المتخصص شيئاً إيجابياً بناء على معطيات اتهم بالمحاباة وإن نقل واقعاً سلبياً كما هو اتهم بالتشاؤم. هناك مشكلة ملموسة وواقع مؤلم ويظل الأمل موجود بالاهتمام بالحقائق بعيداً عن الأدلجة من قبل الجمهور وإن كان نخبوياً.

الحلول المقترحة وآليات المعالجة:

من جانبه يرى د. عبدالله بن ناصر الحمود أن مواجهة ما حدث ليس بعقوبة أحد، وليس بوضع إجراءات للحد من تكرارها. فهذه حلول حمقى. فالحل في نظره ألَّا يأتي موسم الحج القادم إلا وقد غيرت تماماً معظم بيئة الحج إلى بيئة أخرى تبني خططاً جديدة ومنهجيات عمل جديد. وتوقف كل الجهات التي لها أي علاقة بما حدث وتستبدل تماماً بخبرات أخرى محلية أو دولية. الحج لم يعد وظيفة القطاع العام ولا القطاع الخاص. الحج وظيفة خبراء الحج وكفى بصلاحيات وإمكانات مطلقة.

إنه وفي ظل المتغيرات البيئية والتقنية الحالية، إذا لم يقفل باب القبول للحج مع أول يوم من رمضان، وعندها يعرف كل الحجاج رقم الرحلة، وتاريخ الوصول للمشاعر، ورقم الغرفة في السكن، ووقت الطواف ووقت التصعيد الخاص به لعرفات، ووقت النزول لمزدلفة، ووقت الرمي، ووقت كل شيء بدقة متناهية، وأن يكون الإسكان فسيحاً وغير مكتظ، وكذا الطرقات، من دون افتراش، ومن دون متجولين مجهولين، وأخذ الأحكام الشرعية الأكثر تيسيراً على الناس، فلا يمكن أن ندعي السلامة في الحج.

وأشار د. مساعد المحيا إلى أن المملكة تحمل الخبرة كلها في تنظيم الحج.. لا أحد سبق له أن كانت له مثل هذه التجربة .. هذه الميزة الفريدة ينبغي أن تجعل الحج في كل عام أفضل وأيسر وأحسن .. لكن مظاهر الفساد والأخطاء تفوح في كل عام .. مثلًا هناك أعداد من الحملات تشتري الأماكن من أصحاب حملات ويقومون باستضافة آخرين ممن لا تصريح لهم بمبالغ إضافية كما أن الحملات لا يزال عدد منها يفترش بعض أصحابها الأرض نظراً لرغبتهم في القرب من مشاعر معينة .. نحن نحتاج أن تتغير الإدارة التي تدير الحج وأن نكون بمستوى الحدث فالفاجعة كبيرة وسواء كان الحادث مدبراً أو سوء تدبير فكلاهما يجعلان من المهم أن يكون موقفنا جديراً بأن يضمن للمسلمين حجاً هانئاً وسليماً.

ويرى د. عبدالسلام الوايل بأن تدرس التجربة الماليزية في تنظيم الحجاج وإن ثبت أنها تقلل من حوادث التدافع فإن تعميمها ليس مستحيلًا. يمكن اعتبار رؤوس الحجاج مسؤولين عن التزام حجاجهم. ويعتقد د. عبدالسلام أن أطرافاً كثيرة شاركت في واقع حادثة التدافع. ويجب الاعتناء بمعرفة دور كل طرف من دون أطر نظرية مسبقة تبرئ طرفاً أو تدين آخر بشكل مسبق. أي معرفة بإخلاص من أجل المعرفة في البداية. ثم بعدها تكون العقوبات إن لزم وتطور السياسات.

وأضاف أ. مسفر الموسى أننا في الإدارة لا يمكن أن نلوم المستفيد، وعلى حد قوله ثلاثون عاما ونحن نردد: تبرير الافتراش وكبار السن وتخلف بعض الحجاج.. من المفترض أن إدارة الحج عرفت هذه الأسباب ووضعت لها الحلول المناسبة.. حلول للتعامل مع هذه الفئات عند تفويج الحشود.

ويرى م. سالم المري أن سوء التنظيم والفشل في إدارة الحشود سمة لكل حج حتى الآن ويجب أن نعترف بهذا حتى نستطيع إيجاد حل. وأضاف: كل ما قيل في حادث منى قيل تقريباً في الحوادث السابقة والحقيقة المرة التي نتحاشى الخوض فيها أننا بحاجة ماسة لتحسين الأداء في إدارة وتوجيه الحشود في المشاعر المقدسة فرجال الأمن نجحوا في الحفاظ على أمن الحجاج ولكن المشكلة ليست أمنية فقط بل مشكلة سلامة بالدرجة الأولى ... رجل الأمن أو الخبير الأمني ليس بالضرورة أن يكون خبيراً في السلامة؛ فالسلامة في حد ذاتها علم مختلف تماماً... أيضاً فمن المفترض أن يقدم للمساءلة الشخص المقصر أو يستقيل من مسؤولياته فليس من المعقول أن يمر موت المئات من الناس ببساطة في كل موسم حج؟! حتى ولو قبلناه نحن في المملكة لن تقبله الأمم الأخرى خاصة من مات لها مواطنون وعلينا أن ندرك ذلك ونتقبل النقد ونعمل بجد على الحلول.

واتفق م. سالم مع الرأي بضرورة تغيير إدارة الحجيج وحركتهم وجعلها تحت جهة مدنية ثابتة تستطيع الاستفادة من الخبرات المتكررة والمتراكمة. كما أضاف أن من المفيد محاولة جعل الحركة آلية بالريموت كنترول بحسب الخطط والمشاهد بالكاميرات في مركز التحكم وتدخل بسيط من الإنسان حتى المسارات تكون آلية تفتح وتغلق في اتجاهات محددة.

وأيد أ. خالد الحارثي طرح م. سالم في أن تتولى الحج إدارة مدنية تقوم بالخطة السنوية وتطور العمليات والمشاعر وتطلب الأعداد والمهن من أجهزة أخرى بحسب خطتها وتستفيد من التراكم، فالنظر للحج -كونه شأناً أمنياً- فاشل تماماً في نظره.

وعلق د. خالد الرديعان بأن مشكلة التدافع تخص الحجاج أنفسهم... فمعظمهم "جهلة" وهذه الظاهرة نراها في المسلمين لسوء الحظ... يفترض أن يسلم كل حاج وبلغته دليلًا إرشادياً صغيراً لا يقتصر على مناسك الحج فقط ولكن للآداب العامة وسبل استخدام المرافق المتاحة...استثني من الجهل حجاج ماليزيا وإندونيسيا فهم منظمون بدرجة كبيرة أما حجاج الدول العربية والإفريقية فهم فوضويون إلى حد كبير... يتم تسليم الحجاج كتباً تتعلق فقط بأداء النسك ولا تتعرض للقضايا الأخرى.

وأكد د. عبدالسلام الوايل أن عدم التزام الحجاج بالتعليمات واقع. هذا الواقع يجب دراسته عند وضع خطط التفويج. إما بوضع قيادات لكل حملة مسؤولة عن إلزام الحجاج بالتزام النظام أو تطوير مقاربات نظرية في إدارة الحشود مستمدة من الحج نفسه بأبعاده المكانية الضيقة والبشرية.

ويعتقد أ. عبدالله الضويحي أن أصحاب الحملات يحتاجون لمحاسبة شديدة .. وأن يكون هناك مراقبة لتحركات الحجاج وتنظيمهم والتعامل معهم بجدية بعيداً عن المجاملات.

وأكدت د. عائشة حجازي على ضرورة أن تدرس الظاهرة وتفسر وتوضح أسبابها ومن ثم يتم اقتراح وسائل لحلها بدلًا من التفسيرات المعلبة والجاهزة أو العاطفية والدفاعية.

واتفق د. حسين الحكمي مع د. علي الحكمي ود. طلحة فدعق في حاجتنا لإشراك المتخصصين في الدراسات الاجتماعية والنفسية في وضع الخطط والسياسات في الحج وفي كثير غيره من أمور الوطن. أيضاً اتفق د. حسين مع المطالبات باتخاذ التدابير اللازمة، وتأمين عملية التنظيم، والنهوض بمسؤولية توجيههم.. وأضاف د. حسين: نعم لا يعجبني أن نواجه كل هذا الهجوم وما يقال عن تهاون السعودية في التعامل مع موسم الحج. لكن ما حصل إشارة واضحة لوجود خلل تنظيمي. نقدر كل المجهودات التي تبذل ونقدر أشخاص من يعملون ونسأل الله لهم السداد والتوفيق.

لتكن الموضوعية وسيلة لنقيم الوضع. لا تأخذنا العاطفة في الحديث عن وطننا، وليس مطلوب منا - هنا على الأقل - أن تأخذنا الحمية في الدفاع عن السعودية فقط لأن أحدهم قال شيئاً استفزنا فنقوم ونذكر المبالغ التي دفعناها أو عدد الطواقم الفنية والأمنية وغيرها التي تعمل في الحج... لست ممن يهتمون للأرقام كثيراً، فموت 717 كموت 1 بالنسبة لي. الكم لا يهمني بمقدار الكيف، فعندما يقتل حاج بسبب خطأ تنظيمي أعتبره مشكلة ومشكلة كبيرة جداً فالأمر يتعلق بروح ونفس بشرية ولشخص مسلم.

لو كان الخلل في عدم معالجة الافتراش أو الزحمة المرورية وخطة التفويج أو عدم وصول بعض الحجاج لعرفات في نهار التاسع لكان أهون من موت إنسان مسلم... إذا لم نقتنع أن مقتل 717 مشكلة كبيرة جداً وتحتاج منا لإعادة التفكير في طريقة عملنا في موسم الحج فإن لدينا خللًا في نظرتنا للأمور... كل هذا وما زلت أقدر المجهودات التي يبذلها القائمون على الحج والذين لم يوفقوا في إدارته بالشكل المناسب.

وقالت أ. هيا السهلي: الله فضلنا بالحرمين وخدمتهما وهما حق مشاع ومشترك في الزيارة لكل مسلم وبلد ... لذا لابد أن يكون الكمال مطلباً والخطأ ولو صغير مصيبة ... العالم يتداعى علينا وينتظر الزلة فلماذا نبقي الباب مواربا لهم ؟! لسنا في بلد فقير ولا ينقصنا شباب.. لنوظف بدل الواحد ألف ولنستقطب الخبرات ولنجدد دماء اللجان مع الإبقاء على من أنجز وأبدع.

وأشارت د. الجازي الشبيكي أنه من المفترض أن تكون وزارة الحج هي المسؤولة بشكل رئيس عن كل ما يتعلق بالتخطيط للحج ووزيرها هو رئيس لجنة الحج العليا، وعليها توزيع مهام التنفيذ ومسؤولياته بين القطاعات الأمنية والصحية والإرشادية وغيرها في كل مربع محدود يتم الاتفاق على حجم أعداده من الحجاج ويربط هذه الفروع مركز رئيسي يديره مسؤول كل قطاع بنفسه تحت إشراف وإدارة وزير الحج على أن يكون هناك كاميرات ترصد كل حركة ولها اتصال مباشر بالأمن والصحة وفي الوقت نفسه يتم بدقة وضع خطة زمنية مُحكمة بالاتفاق مع أصحاب الحملات لعمليات تسيير الأفواج إلى الجمرات والقطار وغيره. وبعد كل موسم مباشرة يتم تقييم الخطة وإجراءات التنفيذ بموضوعية وشفافية لتدعيم وتطوير الإيجابيات وتلافي السلبيات ويكون التقييم بمشاركة ممثلين عن أصحاب الحملات وعينة عشوائية من الحجاج من مختلف مستويات الحملات وعدد من الإعلاميين.

وعلق د. مساعد المحيا على ما طرحته د. الجازي بقوله: في الحج تتداخل الكثير من الصلاحيات وفض الاشتباك بينها تعوقه أمور كثيرة. كذلك فقد أيد م. سالم المري طرح د. الجازي حول أهمية مراجعة الهيكل الإداري للحج فإدارة هذا الحدث المهم - برأيه - بحاجة إلى خبرة تخصصية وتراكمية ومعرفة لا يمكن أن تتوفر إلا في أشخاص يتم تثبيتهم لهذه المهمة لسنوات طويلة. لكنه تساءل: هل الداخلية هي الطرف المناسب؟ إذا استبعدنا الجانب الأمني الذي يجب أن يبقى مع الداخلية؟ ومن جانبه أوضح د. عبداللطيف العوين أن الداخلية بالتأكيد هي الأنسب وخاصة أن غالب الجوانب التنظيمية هي مهام أمنية بالدرجة الأولى. كذلك أكد اللواء د. سعد الشهراني أنه لا مناص من أن تكون القوات الأمنية هي المعنية بجوانب التنظيم الميداني والأمني وجوانب السلامة مع الجهات ذات العلاقة مثل الصحة والهلال الأحمر وغيرها.

ويعتقد د. عبداللطيف العوين أن اللجنة العليا لإدارة الحج كافية وبتميز ولن يكون وزير الحج أكثر كفاءة من سمو ولي العهد بأي حال من الأحوال والنجاحات الهائلة التي مررنا بها دليل على ذلك، لكن المطلوب دراسة الحالة التي حدثت بطرق علميه بعيداً عن التكهنات والمجاملة، أو الاعتقاد أن كل منا هو خبير الخبراء الذي يجب أن يسمع كلامه، وأن يكون الهدف هو تطوير الأداء بشكل مستمر.

وبناء على طرح د. عبداللطيف العوين تساءل د. مساعد المحيا: إذَنْ ما دور النخب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والدينية والسياسية والإعلامية ... ؟؟ وأجاب د. عبداللطيف: هو قيادة الفكر المتوازن المطور الذي يسهم في خط التنمية المستدامة. وبدوره أضاف د. مساعد: وقيادة هذا الفكر المتوازن ... تحتاج شفافية ... وتحتاج إعادة نظر في كثير مما يجري ... وتحتاج أن يكون لكثير مما يطرح قبول ... فتجربة المملكة في إدارة الحج يفترض أن تكون قد جعلتها بيت خبرة في إدارة الحشود بل يمكن أن يستفيد العالم منها.

وضرب د. مساعد مثالًا للتوضيح حيث قال: كثيراً ما يستفاد من طلاب الكليات العسكرية في الحج ومع أن الطلاب هناك من يقودهم إلا أن هناك بعض الأخطاء التي نحتاج أن نعيد النظر فيها.. أحد الزملاء حج هذا العام وكتب يقول هناك عدم احترافية في إدارة الحشود حيث يوكل الأمر لطلاب الكليات العسكرية لتنظيم الحشود وهم لا خبرة لهم ولا معرفة وليس لديهم خطة واضحة للتطبيق وهذا ما حصل لنا في تنظيم الحشود لركوب القطار من مزدلفة.

وعلق د. عبداللطيف العوين بأن ما تم ذكره بالمثال يمكن الأخذ به كجزء من التحليل لكافة المعلومات وليس أن تؤخذ كحكم قاطع ... قد يكون مصدر يؤخذ في الاعتبار ولكن لا يكتفى به كمصدر حكم. ومن المفيد دائماً جمع المعلومات والاستفادة من الدروس السابقة ووضع سيناريوهات للأسوأ ووضع البدائل ... كل ذلك وفق نتائج دراسة تحليلية متخصصة مستدامة لكافة المتغيرات المتوقعة ولكافة الجهات ذات العلاقة.

واتفق اللواء د. سعد الشهراني مع ما ذهب إليه د. عبداللطيف واستكمل طرح وجهة نظره بقوله: ومع ذلك فلا أحد ينادي بعدم إبداء الرأي ولا بالتغطية على الأخطاء أو القصور وهي موجودة ولا بعدم الشفافية ... لم أكن أريد أن أدلي بدلوي في هذه اللحظة ولكن الفهم الخاطئ لبعضنا يجعلني أقول إسهاماً مع الزملاء في تقديم الرأي مع نقص المعلومات عدا ما هو عام ومتداول ... توجه الدولة موارد وإمكانات كثيرة وكبيرة للحج والعمرة والحرمين الشريفين ولدينا تجارب إيجابية وسلبية أيضاً كل ذلك يمكننا من دون شك من إدارة الحج بطريقة أفضل. الإشكالية الأولى تكمن في توزيع هذه الموارد والإمكانات البشرية على وجه الخصوص توزيعاً جغرافياً جيداً على مساحة منى بالذات... لنتصور أن قوات أمنية كانت منتشرة على طول هذين الشارعين وفي هذا التقاطع وأن نظام الاتصال بينها فعال وأنهم مدربون للتعامل مع التدافع ألم يكن من الممكن تخفيف بل منع اندفاع الجموع من الخلف تفادياً للكارثة أو تخفيفاً منها على الأقل. الأمر الآخر أنه يستوجب دائماً افتراض كل السيناريوهات السلبية المحتملة في كل المشاعر وكل الأوقات وبأدق التفاصيل والتدريب على كيفية التعامل معها وتنسيق الأدوار ومحاكاتها على مدار العام ... إنها الإدارة بكل معانيها ومستوياتها. وأوضح اللواء د. سعد الشهراني كذلك أن طلاب كلية الملك فهد الأمنية والمعاهد العسكرية الأمنية لا يتولون أكثر من مراقبة بعض الشوارع وتنظيم المرور للتدرب ومعايشة الواقع ولا يمثلون إلا نسبة ضئيلة جداً من القوات الأمنية المحترفة والمتمثلة في قوات الطوارئ الخاصة وقوات الأمن الخاصة والمنتدبين من شرط المناطق والدوريات الأمنية والدفاع المدني في حين أن قوات الطوارئ الخاصة هي المعنية بالدرجة الأولى في إدارة الحشود وتفويج الحجاج.

المشاركون

- د. إبراهيم البعيز
السفير أ. أسامة نقلي
د. الجازي الشبيكي
م. حسام بحيري
د. حسين الحكمي
د. حمد الماجد
د. حميد المزروع
د. خالد الرديعان
أ. خالد الوابل
د. خالد بن دهيش
أ. خالد الحارثي
د. زياد الدريس
م. سالم المري
د. سامية العمودي
اللواء د. سعد الشهراني
أ. سعيد الزهراني
أ. سمير الزهراني
د. طلحة فدعق
د. عائشة حجازي
أ.د. عبدالرحمن العناد
د. عبدالرحمن الهدلق
د. عبدالسلام الوايل
أ. عبدالله آل حامد
- د. عبداللطيف العوين
د. عبدالله الحمود
أ. عبدالله الضويحي
أ. عبدالله بن كدسه
د. علي الحكمي
أ. علي عبدالله بن علي
أ. فاطمة الشريف
د. فايز الشهري
أ. فايزة الحربي
د. فاطمة القرني
د. فهد الحارثي
أ. كوثر الأربش
أ. ليلى الشهراني
د. محمد السلمي
د. مساعد المحيا
د. مسفر السلولي
أ. مسفر الموسى
أ. مطشر المرشد
د. منصور المطيري
د. منى أبو سليمان
د. ناهد طاهر
د.م. نصر الصحاف
أ. هادي العلياني
أ. يحيي الأمير
أ. يوسف الكويليت

*ترتيب الأسماء حسب الحروف الأبجدية

ملتـقى أسبـار
Asbar Council
(نادي تفكير)

تأسس الملتقى في 28 يونيو 2015م

@MultaqaAsbar

@Multaqa_Asbar

https://cutt.us/U0nnC

00966114624229

www.asbar.com